مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل ، وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل ، كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» . وقوله تعالى : ﴿**أو من وراء حجاب**﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ، فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما «ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً» كذا جاء في الحديث ، وكان قد قتل يوم أحد ، ولكن هذا في عالم البرزخ ، والآية إنما هي في الدار الدنيا . وقوله عز وجل : ﴿**أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء**﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿**إنه عليّ حكيم**﴾ فهو علي عليم خبير حكيم . وقوله عز وجل : ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾ يعني القرآن ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ أي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ﴿**ولكن جعلناه**﴾ أي القرآن ﴿**نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾ كقوله تعالى : ﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى**﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿**وإنك**﴾ أي يا محمد ﴿**لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ وهو الخلق القويم ، ثم فسره بقوله تعالى : ﴿**صراط الله**﴾ أي وشرعه الذي أمر به الله ﴿**الذي له ما في السموات وما في الأرض**﴾ أي ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور**﴾ أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

سورة الزخرف

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

يقول تعالى : ﴿**حم والكتاب المبين**﴾ أي البين الواضح الجلي المعاني والألفاظ ، لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ، ولهذا قال تعالى ﴿**إنا جعلناه**﴾ أي أنزلناه ﴿**قرآناً عربياً**﴾ أي بلغة العرب فصحياً واضحا ﴿**لعلكم تتقون**﴾ أي تفهمونه وتتدبرونه ، كما قال عز وجل ﴿**بلسان عربي مبين**﴾ . وقوله تعالى : ﴿**وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**﴾ بين شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه اهل الأرض ، فقال تعالى : ﴿**وإنه**﴾ اي القرآن ﴿**في أم الكتاب**﴾ أي اللوح المحفوظ ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ﴿**لدينا**﴾ أي عندنا ، قاله قتادة وغيره ﴿**لعلي**﴾ أي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل قاله قتادة ﴿**حكيم**﴾ أي محكم بريء من اللبس والزيغ . وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله ، كما قال تبارك وتعالى ﴿**إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لايمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين**﴾ وقال تعالى :

obeikandi.com

﴿كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة﴾ ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين ان المحدث لايمس المصحف كما ورد به الحديث إن صح ، لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى ، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى ، لأنه نزل عليهم ، وخطابه متوجه اليهم ، فهم أحق أن يقابلوه بالاكرام والتعظيم ، والانقياد له بالقبول والتسليم ، لقوله تعالى : ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ .

وقوله عز وجل ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ؟﴾ اختلف المفسرون في معناها ، فقيل معناها اتحسبون ان نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ماامرتم به ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وأبو الصالح ومجاهد والسدي واختاره ابن جرير ، وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ؟﴾ والله لو أن هذا القرآن رفع حين ردته أوائل هذه الأمة لهلكوا ، ولكن الله تعالى عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة أو ماشاء الله من ذلك . وقول قتادة لطيف المعنى جداً ، وحاصله انه يقول في معناه انه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لايترك دعاءهم الى الخير والى الذكر الحكيم وهو القرآن ، وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدي به من قدر هدايته ، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته .

ثم قال جل وعلا مسلياً لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه وآمراً له بالصبر عليهم ﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ أي في شيع الأولين ﴿وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون﴾ أي يكذبونه ويسخرون به . وقوله تبارك وتعالى : ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً﴾ أي فأهلكنا المكذبين بالرسل ، وقد كانوا أشد بطشاً من هؤلاء المكذبين لك يامحمد ، كقوله عز وجل ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة﴾ والآيات في ذلك كثيرة جداً . وقوله جل جلاله ﴿ومضى مثل الأولين﴾ قال مجاهد : سنتهم . وقال قتادة : عقوبتهم . وقال غيرهما : عبرتهم ، أي جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ماأصابهم ، كقوله تعالى في آخر هذه السورة ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾ وكقوله جلت عظمته ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ وقال عز وجل ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ .

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى : ولئن سألت يامحمد هؤلاء المشركين بالله ، العابدين معه غيره ﴿من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ أي ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لاشريك له ، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد ، ثم قال تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ أي فراشاً قراراً ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون ، مع أنها مخلوقة على تيار الماء ، لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولاهكذا ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ أي طرقاً بين الجبال والأودية ﴿لعلكم تهتدون﴾ أي في سيركم من بلد الى بلد ، وقطر إلى قطر ، وإقليم إلى اقليم ، ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿فأنشرنا به بلدة ميتاً﴾ أي أرضاً ميتة ، فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنتت من كل زوج بهيج ، ثم نبه تعالى باحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها ، فقال ﴿كذلك تخرجون﴾ ثم قال عز وجل ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ أي مما تنبت الأرض من سائر الأصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك . ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها ﴿وجعل لكم من الفلك﴾ أي السفن ﴿والأنعام ماتركبون﴾ أي ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ، ولهذا قال جل وعلا ﴿لتستووا على ظهوره﴾ أي

لتستووا متمكنين مرتفعين ﴿**على ظهوره**﴾ أي على ظهور هذا الجنس ﴿**ثم تذكروا نعمة ربكم**﴾ أي فيها سخر لكم ﴿**إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين**﴾ أي مقاومين ، ولولا تسخير الله لنا هذا ماقدرنا عليه .
قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي وابن زيد : مقرنين ، أي مطيقين ، ﴿**وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾ أي لصائرون اليه بعد مماتنا وإليه سيرنا الأكبر ، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الأخرة ، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى : ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾ وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى : ﴿**وريشاً ولباس التقوى ذلك خير**﴾ .

ذكر الاحاديث الواردة عند ركب الدابة

[حديث امير المؤمنين علي بن أبي طالب] رضي الله عنه . قال الإمام : حدثنا يزيد ، حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق ، عن علي بن ربيعة قال : رأيت علياً رضي الله عنه أتى بدابة ، فلما وضع رجله في الركاب قال : باسم الله ، فلما استوى عليها قال : الحمد لله ﴿**سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين * وإنا الى ربنا لمنقلبون**﴾ ثم حمد الله تعالى ثلاثاً وكبر ثلاثاً ، ثم قال : سبحانك لاإله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك ، فقلت له : مم ضحكت ياأمير المؤمنين ؟ فقال رضي الله عنه : رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل مافعلت ثم ضحك ، فقلت : مم ضحكت يارسول الله ؟ فقال ﷺ «يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال رب اغفر لي ، ويقول علم عبدي انه لايغفر الذنوب غيري» وهكذا رواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الأحوص ، زاد النسائي ومنصور عن ابي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الأسدي الوالبي به . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة : قلت لأبي إسحاق السبيعي : ممن سمعت هذا الحديث ؟ قال : من يونس بن خباب ؛ فلقيت يونس بن خباب فقلت : ممن سمعته ؟ فقال : من رجل سمعه من علي بن ربيعة ، ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الأسدي عن علي ابن ربيعة الوالبي به .

[حديث عبد الله بن عباس] رضي الله عنهما . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة «حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن علي بن أبي طلحة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : إن رسول الله ﷺ أردفه على دابته ، فلما استوى عليها كبر رسول الله ﷺ ثلاثاً وحمد ثلاثاً وسبح ثلاثاً ، وهلل واحدة ، ثم استلقى عليه وضحك ، ثم أقبل عليه فقال «مامن امريء مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت ، إلا أقبل الله عز وجل عليه ، فضحك اليه كما ضحكت اليك» تفرد به أحمد .

[حديث عبد الله بن عمر] رضي الله عنهما . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارقي عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً ثم قال «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ـ ثم يقول ـ اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ماترضى ، اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد ، اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل . اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا» . وكان ﷺ إذا رجع الى أهله قال : «آيبون تائبون ان شاء الله عابدون لربنا حامدون» وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج ، والترمذي من حديث حماد بن سلمة ، كلاهما عن أبي الزبير به .

[حديث آخر] قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي قال : حملنا رسول الله ﷺ على إبل من إبل الصدقة الى الحج ، فقلنا : يارسول الله مانرى أن تحملنا هذه ، فقال ﷺ «ما من بعير الا في ذروته شيطان ، فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كم آمركم ، ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل الله عز وجل» أبو لاس اسمه محمد بن الأسود بن خلف .

[حديث آخر] في معناه ـ قال أحمد : حدثنا عتاب ، أخبرنا عبد الله ، وعلي بن إسحاق ، أخبرنا عبد الله يعني ابن المبارك ، اخبرنا اسامة بن زيد ، اخبرني محمد بن حمزة انه سمع أباه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «على ظهر كل بعير شيطان فإذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لاتقصروا عن حاجاتكم» .

وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى

﴿الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى ، كما ذكر الله عز وجل عنهم في سورة الأنعام في قوله تبارك وتعالى ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء مايحكمون﴾ وكذلك جعلوا له في قسمي البنات والبنين أخسهما وأردأهما وهو البنات ، كما قال تعالى : ﴿ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى﴾ وقال جل وعلا ههنا ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً إن الانسان لكفور مبين﴾ ثم قال جل وعلا ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ؟﴾ وهذا إنكار عليهم غاية الانكار . ثم ذكر تمام الانكار ، فقال جلت عظمته ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ أي إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة ، وتعلوه كآبة من سوء مابشر به ، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك ، يقول تبارك وتعالى : فكيف تأنفون أنتم من ذلك وتنسبون إلى الله عز وجل ، ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة وإذا خاصمت فلا عبارة لها ، بل هي عاجزة عيية أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم ، فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى ، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي ومافي معناه ليجبر مافيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب :

وما الحلي إلا زينة من نقيصة ... يتمم من حسن إذا الحسن قصرا
وأما إذا كان الجمال موفراً ... كحسنك لم يحتج إلى ان يزورا

وأما نقص معناها فانها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لاعبارة لها ولاهمة ، كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت : ماهي بنعم الولد نصرها بكاء ، وبرها سرقة ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ أي اعتقدوا فيهم ذلك، فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أي شاهدوه وقد خلقهم الله إناثاً ﴿ستكتب شهادتهم﴾ أي بذلك ﴿ويسألون﴾ عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ أي لو اراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله ، فإنه عالم بذلك وهو يقرنا عليه ، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ :

[أحدها] جعلهم لله تعالى ولداً ، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً .

[الثاني] دعواهم انه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً .

[الثالث] عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل ، بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للاسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء .

[الرابع] احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً ، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً ، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الانكار فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وينهى عن عبادة ما سواه قال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ وقال عز وجل ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ وقال جل وعلا في هذه الآية بعد ان ذكر حجتهم هذه ﴿مالهم بذلك من علم﴾ أي بصحة ما قالوه واحتجوا به ﴿إن هم إلا يخرصون﴾ أي يكذبون ويتقولون . وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ما لهم بذلك من علم ان هم إلا يخرصون﴾ يعني ما يعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك .

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ

مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا
مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة ﴿**أم آتيناهم كتاباً من قبله**﴾ أي من قبل شركهم ﴿**فهم به مستمسكون**﴾ أي فيما هم فيه أي ليس الأمر كذلك، كقوله عز وجل ﴿**أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون**﴾ أي لم يكن ذلك . ثم قال تعالى : ﴿**بل قالوا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون**﴾ أي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة ، والمراد بها الدين ههنا . وفي قوله تبارك وتعالى ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ وقولهم ﴿**وانا على آثارهم**﴾ أي وراءهم ﴿**مهتدون**﴾ دعوى منهم بلا دليل . ثم بين جل وعلا ان مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها اشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل ، تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم ﴿**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون**﴾ وهكذا قال ههنا ﴿**وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون**﴾ ثم قال عز وجل ﴿**قل**﴾ أي يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿**أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾ أي ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله . قال الله تعالى : ﴿**فانتقمنا منهم**﴾ أي من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ أي كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الأنبياء الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها انه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان ، فقال ﴿**إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه**﴾ أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي لا إله إلا الله أي جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿**لعلهم يرجعون**﴾ أي اليها .

قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله عز وجل ﴿**وجعلها كلمة باقية في عقبه**﴾ يعني لا إله إلا الله لا يزال في ذريته من يقولها ، وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما . وقال ابن زيد : كلمة الإسلام ، وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة ، ثم قال جل وعلا ﴿**بل متعت هؤلاء**﴾ يعني المشركين ﴿**وآباءهم**﴾ أي فتطاول عليهم العمر في ضلالهم ﴿**حتى جاءهم الحق ورسول مبين**﴾ أي بين الرسالة والنذارة ﴿**ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون**﴾ أي كابروه وعاندوه ودفعوا بالصدور والراح كفراً وحسداً وبغياً ﴿**وقالوا**﴾ أي كالمعترضين على الذي أنزله تعالى وتقدس ﴿**لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾ أي هل كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من

القريتين ؟ يعنون مكة والطائف ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدي وابن زيد ، وقد ذكر غير واحد منهم أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك والسدي : يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو الثقفي . وعن مجاهد : يعنون عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي وعنه أيضاً أنهم يعنون عتبة بن ربيعة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : جباراً من جبابرة قريش ، وعنه رضي الله عنهما أنهم يعنون الوليد بن المغيرة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ، وعن مجاهد : يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد ياليل بالطائف . وقال السدي : عنوا بذلك الوليد ابن المغيرة وكنانة بن عمرو بن عمير الثقفي ، والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان قال الله تبارك وتعالى راداً عليهم في هذا الاعتراض ﴿**أهم يقسمون رحمة ربك ؟**﴾ أي ليس الأمر مردوداً إليهم . بل إلى الله عز وجل ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلباً ونفساً . وأشرفهم بيتاً ، وأطهرهم أصلاً .

ثم قال عز وجل مبيناً أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة ، فقال ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا**﴾ الآية . وقوله جلت عظمته ﴿**ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً**﴾ قيل معناه ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ؛ قاله السدي وغيره . وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضاً وهو راجع إلى الأولى . ثم قال عز وجل ﴿**ورحمة ربك خير مما يجمعون**﴾ أي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا ، ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة**﴾ أي لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لأجل المال هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم ﴿**لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج**﴾ أي سلالم ودرجاً من فضة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم ﴿**عليها يظهرون**﴾ أي يصعدون ولبيوتهم أبواباً أي أغلاقاً على أبوابهم ﴿**وسرراً عليها يتكئون**﴾ أي جميع ذلك يكون فضة ﴿**وزخرفاً**﴾ أي وذهباً ؛ قاله ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد .

ثم قال تبارك وتعالى : ﴿**وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا**﴾ أي إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله تعالى ، أي يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب ليوافوا الآخرة ، وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها كما ورد به الحديث الصحيح . وورد في حديث آخر «لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقي منها كافراً شربة ماء» أسنده البغوي من رواية زكريا بن منظور عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ فذكره . ورواه الطبراني من طريق زمعة بن صالح عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ «لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافراً منها شيئاً» ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿**والآخرة عند ربك للمتقين**﴾ أي هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها أحد غيرهم ، ولهذا لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ حين صعد اليه في تلك المشربة لما آلى ﷺ من نسائه فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه ، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال : يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه ، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس وقال «أوفيٌ شاكٌ أنت يا ابن الخطاب ؟» ثم قال ﷺ «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا» وفي رواية «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» . وفي الصحيحين أيضاً وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة» وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها ، كما روى الترمذي وابن ماجه من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء أبداً» قال الترمذي : حسن صحيح .

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ

obeikandi.com

إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى: ﴿ومن يعش﴾ أي يتعامى ويتغافل ويعرض ﴿عن ذكر الرحمن﴾ والعشا في العين ضعف بصرها، والمراد ههنا عشا البصيرة ﴿نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ كقوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ الآية، وكقوله ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وكقوله جل جلاله ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ الآية، ولهذا قال تبارك وتعالى ههنا ﴿وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا﴾ أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم. فإذا وافى الله عز وجل يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذي وكل به ﴿قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ وقرأ بعضهم ﴿حتى إذا جاءانا﴾ يعني القرين والمقارن. قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن سعيد الجريري قال: بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تبارك وتعالى الى النار، فذلك حين يقول ﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ والمراد بالمشرقين ها هنا هو ما بين المشرق والمغرب وإنما استعمل ها هنا تغليباً كما يقال: القمران والعمران والأبوان؛ قاله ابن جرير وغيره.

ثم قال تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ أي لا يغني عنكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الأليم. وقوله جلت عظمته ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين﴾ أي ليس ذلك إليك إنما عليك البلاغ وليس عليك هداهم، ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل في ذلك ثم قال تعالى: ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾ أي لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهبت أنت ﴿أو نرينك الذي وعدناهم فأنا عليهم مقتدرون﴾ أي نحن قادرون على هذا وعلى هذا ولم يقبض الله تعالى رسوله ﷺ حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه في نواصيهم، وملكه ما تضمنته نواصيهم! هذا معنى قول السدي واختاره ابن جرير.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابو ثور عن معمر قال: تلا قتادة ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾ فقال: ذهب النبي ﷺ وبقيت النقمة، ولم ير الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ في أمته شيئاً يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبي قط إلا وقد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم ﷺ. قال: وذكر لنا أن رسول الله ﷺ أري ما يصيب أمته من بعده فما رئي ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله عز وجل، وذكر من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة نحوه، ثم روى ابن جرير عن الحسن نحو ذلك أيضاً، وفي الحديث «النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون» ثم قال عز وجل ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم﴾ أي خذ بالقرآن المنزل على قلبك، فإنه هو الحق وما يهدي اليه هو الحق المفضي الى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم والخير الدائم المقيم.

ثم قال جل جلاله ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ قيل معناه لشرف لك ولقومك، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد، واختاره ابن جرير ولم يحك سواه وأورده الترمذي ههنا حديث الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين» رواه البخاري ومعناه أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم، وقيل معنا ﴿وانه لذكر لك ولقومك﴾ أي لتذكير لك ولقومك، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم، كقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ وكقوله تبارك وتعالى: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ ﴿وسوف تسألون﴾ أي عن هذا القرآن، وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ أي جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحدة لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد، كقوله جلت عظمته ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ قال مجاهد في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: واسأل الذين ارسلنا اليهم قبلك رسلنا. وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدي عن ابن مسعود رضي الله عنه. وهذا كأنه تفسير

لا تلاوة ، والله اعلم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : واسألهم ليلة الإسراء ، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جمعوا له ، واختار ابن جرير الأول ، والله أعلم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا
يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ
السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبراً عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع والرعايا من القبط وبني اسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له ، وينهاهم عن عبادة ماسواه ، وانه بعث معه آيات عظاماً كيده وعصاه ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، ومن نقص الزروع ، والأنفس والثمرات ، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها ، وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاءهم بها **﴿وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾** ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم ، وجهلهم وخبالهم وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له في العبارة بقولهم **﴿ياأيها الساحر﴾** أي العالم ، قاله ابن جرير . وكان علماء زمانهم هم السحرة . ولم يكن السحر في زمانهم مذموماً عندهم فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لاتناسب ذلك ، وإنما هو تعظيم في زعمهم ، ففي كل مرة يعدون موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بني اسرائيل وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه ، وهذا كقوله تبارك وتعالى : **﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون﴾** .

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن
تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ
مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا
انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده ، أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها **﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾** قال قتادة : قد كانت لهم جنات وأنهار ماء **﴿أفلا تبصرون﴾** أي أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك ، يعني موسى واتباعه فقراء ضعفاء وهذا كقوله تعالى : **﴿فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والاولى﴾** .

وقوله **﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين﴾** قال السدي : يقول بل أنا خير من هذا الذي هو مهين ، وهكذا قال بعض نحاة البصرة : ان أم ههنا بمعنى بل ، ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء انه قرأها **﴿اما أنا من هذا الذي هو مهين﴾** قال ابن جرير : ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحاً واضحاً ، ولكنها خلاف قراءة الأمصار فانهم قرأوا **﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين﴾** على الاستفهام [قلت] وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون لعنه الله بذلك انه خير من موسى عليه الصلاة والسلام ، وقد كذب في قوله هذا كذباً بيناً ، واضحاً فعليه لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة . ويعني بقوله مهين كما قال سفيان حقير ، وقال قتادة والسدي : يعني ضعيف . وقال ابن جرير : يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال **﴿ولا يكاد يبين﴾** يعني لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عيي حصر . قال السدي **﴿لا يكاد يبين﴾** أي لا يكاد يفهم .

obeikandl.com

وقال قتادة والسدي وابن جرير : يعني عيي اللسان ، وقال سفيان : يعني في لسانه شيء من الجمرة حين وضعها في فمه وهو صغير ، وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق ، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد وهو ما ينظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كافرة شقية ، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر ابصار ذوي الألباب .

وقوله ﴿مهين﴾ كذب ، بل هوالمهين الحقير خلقة وخلقاً وديناً ، وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد . وقوله ﴿ولايكاد يبين﴾ افتراء ايضاً فانه وان كان قد اصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة ، فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله ﴿قد أوتيت سؤلك ياموسى﴾ وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل ازالته ، كما قاله الحسن البصري وانما سأل زوال ما يحصل معه الابلاغ والافهام ، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل اليد لا يعاب بها ولا يذم عليها ، وفرعون وان كان يفهم وله عقل ، فهو يدري هذا ، وانما اراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة اغبياء وهكذا قوله ﴿فلولا القي عليه اسورة من ذهب﴾ وهي مايجعل في الأيدي من الحلي . قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وغير واحد ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ أي يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه ، نظر إلى الشكل الظاهر ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر مما نظر اليه لو كان يفهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ أي استخف عقولهم فدعاهم الى الضلالة فاستجابوا له ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ قال الله تعالى : ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما : آسفونا اسخطونا ، وقال الضحاك عنه : اغضبونا ، وهكذا قال ابن عباس ايضاً ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدي وغيرهم من المفسرين .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم التجيبي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : «اذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطي العبد مايشاء وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك استدراج منه له» ثم تلا ﷺ ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين﴾ وحدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، حدثنا قيس بن الربيع عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : كنت عند عبد الله رضي الله عنه ، فذكر عنده موت الفجأة ، فقال : تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ، ثم قرأ رضي الله عنه ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين﴾ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : وجدت النقمة مع الغفلة يعني قوله تبارك وتعالى : ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾ قال ابو مجلز : سلفاً لمثل من عمل بعملهم . وقال هو ومجاهد : ومثلاً أي عبرة لمن بعدهم ، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب .

﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون ﴿٥٧﴾ وقالوا ءالهتنا
خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴿٥٨﴾ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل
﴿٥٩﴾ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴿٦٠﴾ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط
مستقيم ﴿٦١﴾ ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴿٦٢﴾ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة
ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ﴿٦٣﴾ إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
﴿٦٤﴾ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴿٦٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون﴾ قال غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والسدي والضحاك : يضحكون اي اعجبوا بذلك ، وقال قتادة : يجزعون ويضحكون . وقال ابراهيم النخعي : يعرضون ، وكأن السبب في ذلك ماذكره محمد بن

اسحاق في السيرة حيث قال : وجلس رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ ، فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ﷺ حتى افحمه ، ثم تلا عليه ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون**﴾ الآيات .

ثم قام رسول الله ﷺ واقبل عبد الله بن الزبعري التميمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله الزبعري : اما والله لو وجدته لخصمته ، سلوا محمداً أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيراً ، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعري ، ورأوا انه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : «كل من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، فانهم انما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته» فأنزل الله عز وجل : ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون**﴾ أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الاحبار والرهبان ، الذين مضوا على طاعة الله عز وجل ، فاتخذهم من بعدهم من اهل الضلالة ارباباً من دون الله ، ونزل فيما يذكر من انهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون**﴾ الآيات ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، وانه يعبد من دون الله ، وعجب الوليد ومن حضر من حجته وخصومته ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون**﴾ أي يصدون امرك بذلك من قوله . ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال : ﴿**إن هو إلا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وانه لعلم للساعة**﴾ أي ماوضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى وابراء الاسقام فكفى به دليلاً على علم الساعة يقول ﴿**فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم**﴾ .

وذكر ابن جرير من رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون**﴾ قال : يعني قريشاً ، لما قيل لهم : ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾ إلى آخر الآيات . فقالت له قريش : فما ابن مريم ؟ قال «ذاك عبد الله ورسوله» فقالوا : والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم رباً ، فقال الله عز وجل ﴿**ماضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون**﴾ .

وقال الامام احمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا شيبان عن عاصم بن ابي النجود ، عن ابي رزين ، عن أبي يحيى مولى ابن عقيل الانصاري ، قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : لقد علمت اية من القرآن ماسألني عنها رجل قط . ولادري اعلمها الناس فلم يسألوا عنها ام لم يفطنوا لها فيسألوا عنها . قال : ثم طفق يحدثنا ، فلما قام تلاومنا ان لانكون سألناه عنها ، فقلت : انا لها اذا راح غداً ، فلما راح الغد قلت : يا ابن عباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط ، فلا تدري اعلمها الناس ام لم يفطنوا لها ، فقلت : اخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها . قال رضي الله عنه : نعم ان رسول الله ﷺ قال لقريش «يامعشر قريش انه ليس احد يعبد من دون الله فيه خير» وقد علمت قريش ان النصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما الصلاة السلام ، وما تقول في محمد ﷺ ، فقالوا : يا محمد ألست تزعم ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً ، فان كنت صادقاً كان آلهتهم كما تقولون . قال : فانزل الله عز وجل ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون**﴾ قلت : ما يصدون ؟ قال : يضحكون ﴿**وانه لعلم للساعة**﴾ قال : هو خروج عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة . وقال ابن ابي حاتم : حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي ، حدثنا آدم ، حدثنا شيبان عن عاصم بن ابي النجود عن ابي احمد مولى الانصار عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ «يامعشر قريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير» فقالوا له : ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عز وجل ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون**﴾ وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون**﴾ قالت قريش انما يريد محمد ان نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى عليه السلام . ونحو هذا قال قتادة وقوله ﴿**وقالوا أآلهتنا خير أم هو**﴾ قال قتادة : يقولون آلهتنا خير منه وقال قتادة : قرأ ا بن مسعود رضي الله عنه وقالوا أآلهتنا خير أم هذا ، يعنون محمداً ﷺ .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿**ماضربوه لك إلا جدلاً**﴾ أي مراء ، وهم يعلمون انه بوارد على الآية ، لأنها لما لا يعقل ، وهي قوله تعالى : ﴿**إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم**﴾ ثم هي خطاب لقريش ، وهم انما كانوا يعبدون الاصنام والانداد ، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه ، فتعين ان مقالتهم انما كانت جدلاً منهم ليسوا يعتقدون صحتها وقد قال الامام احمد رحمه الله تعالى : حدثنا ابن نمير ، حدثنا حجاج بن دينار عن ابي غالب عن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال

obeikandl.com

رسول الله ﷺ «ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أورثوا الجدل» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية **﴿ماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾** وقد رواه الترمذي وابن ماجة وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به ثم قال الترمذي : حسن صحيح لانعرفه الا من حديثه كذا قال وقد روي من وجه آخر عن ابي امامة رضي الله عنه بزيادة ، فقال ابن ابي حاتم : حدثنا حميد بن عياش الرملي ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد ، اخبرنا ابن مخزوم عن القاسم بن أبي عبد الرحمن السامي عن أبي امامة رضي الله عنه ، قال حماد : لاادري رفعه أم لا ؟ قال : ما ضلت أمة بعد نبيها الا كان اول ضلالها التكذيب بالقدر ، وماضلت امة بعد نبيها الا اعطوا الجدل ، ثم قرأ **﴿ماضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾** .

وقال ابن جرير ايضاً : حدثنا ابو كريب ، حدثنا احمد بن عبد الرحمن عن عبادة بن عباد عن جعفر عن القاسم عن ابي امامة رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن ، فغضب غضباً شديداً حتى كأنما صب على وجهه الخل ، ثم قال ﷺ «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فانه ما ضل قوم قط الا اوتوا الجدل» ثم تلا ﷺ **﴿ماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾** وقوله تعالى **﴿إن هو الا عبد انعمنا عليه﴾** يعني عيسى عليه الصلاة والسلام . ماهو الا عبد من عباد الله عز وجل انعم الله عليه بالنبوة والرسالة . **﴿وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل﴾** أي دلالة وحجة وبرهاناً على قدرتنا على ما نشاء ، وقوله عز وجل **﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾** أي بدلكم **﴿ملائكة في الارض يخلفون﴾** قال السدي : يخلفونكم فيها ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة : يخلف بعضهم بعضاً كما يخلف بعضكم بعضاً ، وهذا القول يستلزم الاول ، قال مجاهد : يعمرون الارض بدلكم .

وقوله سبحانه وتعالى : **﴿وإنه لعلم للساعة﴾** تقدم تفسير ابن اسحاق ان المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام ، من احياء الموتى وابراء الاكمة والابرص وغير ذلك من الاسقام ، وفي هذا نظر وابعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير ، ان الضمير في وانه عائد على القرآن ، بل الصحيح انه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ، كما قال تبارك وتعالى : **﴿وإن من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾** أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام **﴿ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾** ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى **﴿وإنه لعلم للساعة﴾** أي امارة ودليل على وقوع الساعة . قال مجاهد **﴿وإنه لعلم للساعة﴾** أي آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة ، وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ انه اخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً .

وقوله تعالى : **﴿فلا تمترن بها﴾** أي لا تشكوا فيها انها واقعة وكائنة لا محالة **﴿واتبعون﴾** أي فيما اخبركم به **﴿هذا صراط مستقيم * ولايصدنكم الشيطان﴾** أي عن اتباع الحق **﴿انه لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة﴾** أي بالنبوة **﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾** قال ابن جرير يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية ، وهذا الذي قاله حسن جيد ثم ورد قول من زعم ان بعض ههنا بمعنى كل ، واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال :

ترّاك امكنة إذا لم ارضها … أو يعتلق بعض النفوس حمامها

وأوله على انه اراد جميع النفوس . قال ابن جرير انما اراد نفسه فقط ، وعبر بالبعض عنها ، وهذا الذي قاله محتمل .

وقوله عز وجل **﴿فاتقوا الله﴾** أي فيما أمركم به **﴿وأطيعون﴾** فيما جئتكم به **﴿ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾** أي أنا وأنتم عبيد له فقراء إليه مشتركون في عبادته وحده لا شريك له **﴿هذا صراط مستقيم﴾** أي هذا الذي جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده . وقوله سبحانه وتعالى : **﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾** أي اختلفت الفرق وصاروا شيعاً فيه ، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ومنهم من يدعي انه ولد الله ، ومنهم من يقول إنه الله . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ولهذا قال تعالى : **﴿فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾** .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ

وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

يقول تعالى : هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل ﴿**إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون**﴾ أي فإنها كائنة لا محالة وواقعة ، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين فاذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها فحينئذ يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم ولايدفع عنهم ، وقوله تعالى : ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾ أي كل صداقة وصحبة لغير الله فانها تنقلب يوم القيامة عداوة ، إلا ما كان لله عز وجل فانه دائم بدوامه ، وهذا كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ﴿**إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار ومالكم من ناصرين**﴾ .

وقال عبد الرزاق : اخبرنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾ قال : خليلان مؤمنان وخليلان كافران ، فتوفي أحد المؤمنين وبشر بالجنة ، فذكر خليله فقال : اللهم إن فلاناً خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ، وينبئني أني ملاقيك ، اللهم فلا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني ، وترضى عنه كما رضيت عني ، فيقال له اذهب فلو تعلم ماله عندي لضحكت كثيراً وبكيت قليلاً قال ثم يموت الآخر فتجتمع أرواحهما فيقال : ليثنِ احدكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه : نعم الأخ ونعم الصاحب ونعم الخليل . واذا مات احد الكافرين وبشر بالنار ذكر خليله فيقول : اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك . ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ، ويخبرني أني غير ملاقيك . اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخطت عليّ . قال : فيموت الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال : ليثنِ كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه : بئس الاخ وبئس الصاحب وبئس الخليل ! رواه ابن ابي حاتم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة : صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين ، وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن أحمد عن هشام بن عبد الله بن كثير ، حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالرقة عن معافي ، حدثنا حكيم بن نافع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لو أن رجلين تحابا في الله أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذي احببته فيّ» .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿**ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون**﴾ ثم بشرهم فقال ﴿**الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**﴾ أي آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم ، قال المعتمر بن سليمان عن أبيه : اذا كان يوم القيامة فان الناس حين يبعثون لا يبقى أحد منهم الا فزع فينادي مناد ﴿**ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولاانتم تحزنون**﴾ فيرجوها الناس كلهم ، قال : فيتبعها ﴿**الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**﴾ قال : فييأس الناس منها غير المؤمنين . ﴿**ادخلوا الجنة**﴾ أي يقال لهم ادخلوا الجنة ﴿**أنتم وازواجكم**﴾ أي نظراؤكم ﴿**تحبرون**﴾ أي تتنعمون وتسعدون وقد تقدم تفسيرها في سورة الروم . ﴿**يطاف عليهم بصحاف من ذهب**﴾ أي زبادي آنية الطعام ﴿**وأكواب**﴾ وهي آنية الشراب أي من ذهب لا خراطيم لها ولا عرى ﴿**وفيها ما تشتهي الأنفس**﴾ وقرأ بعضهم تشتهيه الأنفس ﴿**وتلذ الأعين**﴾ أي طيب الطعام والريح وحسن المنظر ، قال عبد الرزاق : اخبرنا معمر ، اخبرني اسماعيل بن أبي سعيد قال : إن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ قال «إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل الجنة بعده أحد ، يفسح له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس فيها موضع شبر إلا معمور يغدى عليه ويراح بسبعين الف صحفة من ذهب ، ليس فيا صحفة الا فيها لون ليس في الاخرى مثله ، شهوته في آخرها كشهوته في اولها ، ولو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطى لا ينقص ذلك مما اوتى شيئاً» .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا عمرو بن سواد السرحي ، حدثني عبد الله بن وهب عن بن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه ، أن أبا أمامة رضي الله عنه حدث ان رسول الله ﷺ حدثهم وذكر الجنة فقال «والذي نفس محمد بيده ، ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ، ثم يخطر على باله طعام آخر فيتحول الطعام الذي في فيه على الذي اشتهى» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿**وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون**﴾ وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا مسكين بن عبد العزيز ، حدثنا ابو الاشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ان ادنى اهل الجنة منزلة من له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة ، وإن له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة – ولا أعلمه الا قال من ذهب

في كل صحفة لون ليس في الاخرى ، وإنه ليلذ اوله كما يلذ آخره ، ومن الأشربة ثلثمائة إناء في كل اناء لون ليس في الآخر ، وإنه ليلذ اوله كما يلذ آخره ، وانه ليقول يارب لو اذنت لي لأطعمت اهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء ، وان له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى ازواجه من الدنيا ، وان الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الارض» وقوله تعالى : ﴿وأنتم فيها﴾ أي في الجنة ﴿خالدون﴾ أي لاتخرجون منها ولاتبغون عنها حولاً .

ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان ﴿وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون﴾ أي أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول رحمة الله إياكم ، فانه لا يدخل احداً عمله الجنة ، ولكن برحمة الله وفضله ، وانما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الاعمال الصالحات قال ابن أبي حاتم : حدثنا الفضل بن شاذان المقري ، حدثنا يوسف بن يعقوب يعني الصفار ، حدثنا ابو بكر بن عياش عن الأعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كل اهل النار يرى منزله من الجنة حسرة ، فيكون له فيقول ﴿لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾ وكل اهل الجنة يرى منزله من النار فيقول ﴿وماكنا لنتهدي لولا أن هدانا الله﴾ فيكون له شكراً» قال : وقال رسول الله ﷺ ما من احد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار ، فالكافر يرث المؤمن منزله من النار . والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة . وذلك قوله تعالى : ﴿وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون﴾ » وقوله تعالى : ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾ أي من جميع الأنواع ﴿منها تأكلون﴾ أي مهما اخترتم واردتم . ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لتتم النعمة والغبطة ، والله تعالى اعلم .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنى بذكر الأشقياء فقال ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم﴾ أي ساعة واحدة ﴿وهم فيه مبلسون﴾ أي آيسون من كل خير . ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ أي باعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم . وارسال الرسل اليهم ، فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاء وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد .
﴿ونادوا يامالك﴾ وهو خازن النار . قال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمر بن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ونادوا يامالك ليقض علينا ربك﴾ أي يقبض ارواحنا فيريحنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى : ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ وقال عز وجل ﴿ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ فلما سألوا ان يموتوا اجابهم مالك ﴿قال إنكم ماكثون﴾ قال ابن عباس : مكث الف سنة ثم قال : انكم ماكثون رواه ابن ابي حاتم أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها ثم ذكر سبب شقوتهم ، وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ أي بيناه لكم ووضحناه وفسرناه ﴿ولكن اكثركم للحق كارهون﴾ أي ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه ، وانما تنقاد للباطل وتعظمه ، وتصد عن الحق وتأباه وتبغض اهله ، فعودوا على انفسكم بالملامة . واندموا حيث لا تنفعكم الندامة ، ثم قال تبارك وتعالى : ﴿أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون﴾ قال مجاهد : ارادوا كيد شر ، فكدناهم وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى : ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾ وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه ، فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم ، ولهذا قال ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ أي سرهم وعلانيتهم ﴿بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾ أي نحن نعلم ما هم عليه والملائكة ايضا يكتبون اعمالهم صغيرها وكبيرها .

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

(٨٥) وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)

يقول تعالى : ﴿**قل**﴾ يامحمد ﴿**إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ أي لو فرض هذا لعبدته على ذلك ، لأني عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرني به ليس عندي استكبار ولا اباء عن عبادته ، فلو فرض هذا لكان هذا ، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى ، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز ايضا كما قال عز وجل : ﴿**لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار**﴾ وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿**فأنا أول العابدين**﴾ أي الآنفين ، ومنهم سفيان الثوري والبخاري ، حكاه فقال ويقال اول العابدين الجاحدين من عبد يعبد ، وذكر ابن جرير لهذا القول من الشو هد ما رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب ، حدثني ابن أبي ذئب عن ابي قسيط عن بعجة بن بدر الجهني ان امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم ايضاً ، فولدت له في ستة اشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمر بها ان ترجم ، فدخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿**وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**﴾ وقال عز وجل : ﴿**وفصاله في عامين**﴾ قال : فو الله ما عبد عثمان رضي الله عنه ان بعث اليها ترد ، قال يونس : قال ابن وهب : عبد استنكف . وقال الشاعر :

متى ما يشأ ذو السود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالما

وهذا القول فيه نظر لأنه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره ان كان هذا فأنا ممتنع منه ؟ هذا فيه نظر فليتأمل اللهم إلا أن يقال : أنْ إنْ ليست شرطاً وإنما هي نافية ، كما قال علي بن ابي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿**قل إن كان للرحمن ولد**﴾ يقول : لم يكن للرحمن ولد ، فأنا أول الشاهدين . وقال قتادة هي كلمة من كلام العرب ﴿**إن كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين**﴾ أي إن ذلك لم يكن فلا ينبغي ، وقال أبو صخر ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ أي فأنا أول من عبده بأن لا ولد له ، واول من وحده ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، وقال مجاهد ﴿**فأنا اول العابدين**﴾ أي اول من عبده ووحده وكذبكم ، وقال البخاري ﴿**فأنا اول العابدين**﴾ الآنفين وهما لغتان رجل عابد وعبد . والأول اقرب على انه شرط وجزاء ولكن هو ممتنع ، وقال السدي ﴿**قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ يقول : لو كان له ولد كنت اول من عبده بان له ولد ولكن لا ولد له ، وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم ان إن نافية . ولهذا قال تعالى : ﴿**سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون**﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه خالق الاشياء عن ان يكون له ولد فإنه فرد احد صمد ، لا نظير له ولا كفء له فلا ولد له .

وقوله تعالى : ﴿**فذرهم يخوضوا**﴾ أي في جهلهم وضلالهم ﴿**ويلعبوا**﴾ في دنياهم ﴿**حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**﴾ وهو يوم القيامة أي فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ومآلهم وحالهم في ذلك اليوم وقوله تبارك وتعالى : ﴿**وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**﴾ أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض يعبده اهلها وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه ﴿**وهو الحكيم العليم**﴾ وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى : ﴿**وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون**﴾ أي هو المدعو الله في السموات والارض ﴿**وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما**﴾ أي هو خالقها ومالكها ، والمتصرف فيها بلا مدافعة ولا ممانعة ، فسبحانه وتعالى عن الولد وتبارك ، أي استقر له السلامة من العيوب والنقائص ، لأنه الرب العلي العظيم المالك للاشياء الذي بيده ازمة الامور نقضاً وابراماً . ﴿**وعنده علم الساعة**﴾ أي لا يجليها لوقتها إلا هو . ﴿**وإليه ترجعون**﴾ أي فيجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر . ثم قال تعالى : ﴿**ولا يملك الذين يدعون من دونه**﴾ أي من الأصنام والاوثان ﴿**الشفاعة**﴾ أي لايقدرون على الشفاعة لهم ﴿**إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**﴾ هذا استثناء منقطع . أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم ، فانه تنفع شفاعته عنده بإذنه له . ثم قال عز وجل : ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون**﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿**من خلقهم ليقولن الله**﴾ أي هم يعترفون انه الخالق للأشياء جميعها وحده لا شريك له في ذلك ، ومع هذا

ObeikanDL.com

يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء ، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل . ولهذا قال تعالى : ﴿**فأنى يؤفكون**﴾ .

وقوله جل وعلا : ﴿**وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون**﴾ أي وقال محمد ﷺ ، قيله أي شكا الى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ، كما اخبر تعالى في الآية الاخرى ﴿**وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾ وهذا الذي قلناه هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد وقتادة ، وعليه فسر ابن جرير ، قال البخاري : وقرأ عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه ﴿**وقال الرسول يارب**﴾ وقال مجاهد في قوله ﴿**وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون**﴾ قال يؤثر الله عز وجل قول محمد ﷺ . وقال قتادة : هو قول نبيكم ﷺ يشكو قومه الى ربه عز وجل . ثم حكى ابن جرير في قوله تعالى : ﴿**وقيله يارب**﴾ قراءتين احداهما النصب ، ولها توجيهان : احدهما انه معطوف على قوله تبارك وتعالى : ﴿**نسمع سرهم ونجواهم**﴾ والثاني ان يقدر فعل وقال قيله ، والثانية الخفض وقيله عطفاً على قوله ﴿**وعنده علم الساعة**﴾ وتقديره وعلم قيله . وقوله تعالى : ﴿**فاصفح عنهم**﴾ أي المشركين ﴿**وقل سلام**﴾ أي لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيء ، ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلاً وقولاً ﴿**فسوف يعلمون**﴾ هذا تهديد من الله تعالى لهم ، ولهذا احل بهم بأسه الذي لا يرد وأعلى دينه وكلمته ، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله افواجاً ، وانتشر الاسلام في المشارق والمغارب والله اعلم .

سورة الدخان

ترتيبها ٤٤ — آياتها ٥٩

قال الترمذي : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب عن عمرو بن ابي خثعم عن يحيى بن ابي كثير ، عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك» ثم قال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وعمرو بن ابي خثعم يضعف قال البخاري منكر الحديث .

ثم قال : حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي ، حدثنا زيد بن الحباب عن هشام ابي المقدام عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له» ثم قال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وهشام ابو المقدام يضعف ، والحسن لم يسمع من ابي هريرة رضي الله عنه ، كذا قال ايوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد رحمة الله عليهم اجمعين ، وفي مسند البزار من رواية ابي الطفيل عامر بن واثلة عن زيد بن حارثة ان رسول الله ﷺ قال لابن صياد «اني قد خبأت خبأ فما هو؟» وخبأ له رسول الله ﷺ سورة الدخان فقال هو الدخ . فقال «اخسأ ما شاء الله» ثم انصرف .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة ، وهي ليلة القدر كما قال عز وجل ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى : ﴿**وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، ومن قال : إنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة ، فإن نص القرآن أنها في رمضان ، والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري ،